مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

العدد الخاص – آب – Augustus / 2025

الوظيفة التداولية للأدوات النحوية في ضوء فقه اللغة: دراسة تحليلية في السياقات القرآنية

أ. م قصي محمود خلف
جامعة كركوك كلية القانون والعلوم السياسية – مدير الموارد البشرية.
qusay@uokirkuk.edu.iq

ملخص. تُعدّ الأدوات النحوية من الركائز الأساسية في بناء الجملة العربية، إلا أن دراستها في إطار تداولي يجمع بين فقه اللغة وعلم المعاني لا تزال محدودة. يهدف هذا البحث إلى تحليل الوظيفة التداولية للأدوات النحوية كالواو، الفاء، ثم، حتى، لكن، وغيرها، من خلال استقراء سياقاتها المتعددة في النص القرآني، باعتباره أعلى نماذج البيان العربي. فالوظيفة التداولية تُعنى بكيفية توظيف الأداة لتحقيق مقصد الخطاب، لا بمجرد معناها القاموسي أو النحوي المجرد، ومن ثم فإن الجمع بين فقه اللغة – الذي يعتني بتطور المعنى – وعلم التداول – الذي يربط اللغة بالواقع والسياق – يتيح لنا فهمًا أعمق وأدق لوظائف الأدوات، يعتمد البحث على تحليل نصوص قرآنية مختارة، وتفكيك دلالات الأدوات النحوية داخل السياق، وتحديد الأثر التداولي لها، وما تُحدثه من انتقالات معنوية أو أسلوبية في المعنى، كما يقارن البحث بين معاني الأدوات في السياق القرآني ومعانيها في الاستعمال العربي القديم، متتبعًا التطور الدلالي والتوظيف المقاصدي، مما يُبرز مرونة اللغة وقدرتها على استيعاب التراكيب في ضوء المقاصد والبيئة الخطابية. ويأمل هذا البحث في أن يسد فراغًا في الدراسات التطبيقية لفقه اللغة، وأن يفتح آفاقًا جديدة للباحثين في وظائف الأدوات، ويؤسس لمنهج متكامل بين علوم اللغة والنص والبلاغة.

Abstract: Grammatical tools are among the fundamental pillars of Arabic sentence construction, yet their study within a pragmatic

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

framework that combines philology and semantics remains limited. This research aims to analyze the pragmatic function of grammatical tools such as waw, fa, thumma, hatta, lakin, and others, by examining their various contexts in the Qur'anic text, as the highest examples of Arabic rhetoric. The pragmatic function concerns how a tool is employed to achieve the purpose of discourse, not merely its abstract lexical or grammatical meaning. Therefore, combining philology—which focuses on the development of meaning—with pragmatics—which links language to reality and context—allows us to gain a deeper and more precise understanding of the functions of tools. The research relies on the analysis of selected Qur'anic texts, deconstructing the connotations of grammatical tools within the context, identifying their pragmatic impact, and the semantic or stylistic shifts in meaning they produce. The research also compares the meanings of tools in the Qur'anic context with their meanings in ancient Arabic usage, tracing semantic development and purposeful employment. This highlights the flexibility of language and its ability to accommodate structures in light of intentions and the discursive environment. This research hopes to fill a gap in applied studies of philology, open new horizons for researchers in the functions of tools, and establish an integrated approach between the sciences of language, text, and rhetoric.

المقدمة

قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: 114]، فالعلم بابٌ لفهم النص، ومفتاحٌ لتدبّر الخطاب، وهو ما أكّده رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: "من يُرِد الله به خيراً يُفقهه في الدين" رواه البخاري ومسلم. وقال الحسن البصري رحمه الله: "الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب، وإذا خرجت من اللسان لم تتجاوز الآذان"، فالكلام لا يقاس بظاهره فقط، وإنما يُوزن بمعناه ومقصده، وبما يحمله من دلائل خفية تؤثر في المتلقي. وفي هذا قال الشاعر: وَمَا الكَلِمَاتُ إِلّا كَالنُّجُومِ ضِيَاؤُهَا يُرَى فِي سَمَاءِ الفِكرِ فَيهتدي البَصَرُ إنّ اللغة العربية، التي شرفها الله بأن جعلها وعاءً للقرآن الكريم، تزداد بهاءً وعمقًا عندما تُدرَس أدواتها النحوية من زاوية تداولية تُعنى بالسياق والمقصد، لا من جهة البنية وحدها.

ومن هنا تبرز أهمية هذا البحث الذي يُعالج "الوظيفة التداولية للأدوات النحوية في ضوء فقه اللغة" في النص القرآني، من خلال الربط بين علم فقه اللغة – الذي يتتبع تطور الدلالة – وعلم التداول –

الذي يربط الكلمة بسياقها المقصودي. فالأداة النحوية في هذا الإطار لم تعد عنصرًا تركيبياً فحسب، بل أصبحت مساهِمةً في تشكيل المعنى، وتوجيه الخطاب، وتحقيق مقاصده البيانية. وسيعتمد هذا البحث على استقراء السياقات القرآنية وتحليلها، مع إبراز الأبعاد المقاصدية والبلاغية والدلالية للأدوات النحوية، سعيًا لبناء منهج تطبيقي يُسهم في تقريب فقه اللغة من واقع النص، ويجسر المسافة بين النظرية والممارسة.

أولاً: أهمية البحث:

تتجلى أهمية هذا البحث في كونه يتناول ميداناً قلما طُرق في الدراسات اللغوية القرآنية، وهو الربط بين الوظيفة التداولية للأدوات النحوية وفق منهج فقه اللغة. فالأدوات النحوية كحروف العطف، والاستدراك، والغاية لا تؤدي دورًا تركيبياً فحسب، بل تحمل دلالات تداولية عميقة تتغير بتغير السياق والمقصد، وتُسهم في بناء المعنى الكلي للنص القرآني، وتوجيه دلالاته. كما يُسهم البحث في تطوير الفهم المعاصر للنص القرآني من خلال ربط التحليل النحوي بالسياق التداولي والمقاصدي، مما يفتح آفاقًا جديدة للباحثين في الدراسات اللغوية القرآنية، ويثري المكتبة العربية بمنهج تطبيقي يجمع بين علوم النحو، والبلاغة، وفقه اللغة، والتداول. كذلك فإن هذا البحث يقدم رؤية تفسيرية جديدة للوظائف النحوية في القرآن الكريم من منظور يراعي البنية والمقصد معًا، مما يعزز فهم النص الشرعي بما يتلاءم مع معطيات العصر وتطور المناهج اللسانية.

ثانيًا: أهداف البحث

1. بيان العلاقة بين فقه اللغة والتداولية، وكيف يُسهم هذا التكامل في تحليل الأدوات النحوية ضمن السياقات القرآنية.
2. تحليل دقيق للأدوات النحوية (كالواو، الفاء، ثم، لكن، حتى، كي، بل، لا...) وتفسير دلالتها التداولية في الخطاب القرآني، بما يتجاوز التعريفات النحوية التقليدية.
3. استكشاف الوظيفة المقاصدية للأداة النحوية في ضوء سياق الآية والغرض البلاغي، وربط الأداة بمقصد الخطاب لا بمعناها المعجمي المجرد.
4. مقارنة الاستعمال القرآني للأداة مع استعمالها في اللغة العربية القديمة، وبيان التطور أو الثبات الدلالي.

5. اقتراح قواعد تحليلية لفهم الأدوات النحوية في النصوص الشرعية عامة، وفي القرآن الكريم خاصة، باستخدام المنهج التداولي وفقهيات اللغة.

ثالثًا: إشكالية البحث

تكمن الإشكالية المركزية لهذا البحث في السؤال الآتي: كيف يمكن توظيف المنهج التداولي وفقه اللغة في تحليل دلالة الأدوات النحوية في السياق القرآني، بما يكشف عن أبعادها المقاصدية والأسلوبية، بعيدًا عن التناول النحوي الجامد؟

ويتفرع عن هذا السؤال الرئيس مجموعة من الأسئلة الفرعية، منها:

- إلى أي مدى تسهم الأداة النحوية في توجيه المعنى في الخطاب القرآني؟
- ما الفارق بين الدلالة النحوية والدلالة التداولية للأداة؟
- هل هناك تطور دلالي في وظيفة الأداة باختلاف السياق؟
- كيف يتكامل فقه اللغة وعلم التداول في تحليل النصوص الشرعية؟
- ما الأثر البلاغي والبياني للأدوات النحوية في خدمة مقاصد الآيات؟

رابعًا: المناهج العلمية المعتمدة:

يعتمد هذا البحث على منهجين علميين حديثين متكاملين: المنهج التداولي ويركز هذا المنهج على دراسة اللغة في ضوء السياق والواقع الخطابي، ويُعنى بوظيفة الكلمة أو الأداة في تحقيق مقصد المتكلم، ومدى تأثيرها في المتلقي. ومن خلاله يمكن تحليل الأدوات النحوية بوصفها عناصر تؤثر في المعنى الكلي للخطاب، لا مجرد مكونات بنيوية. والمنهج الوصفي التحليلي: ويُستخدم هذا المنهج في تتبع الأدوات النحوية داخل النص القرآني، وتحليلها في ضوء المعاني الظاهرة والمقاصد الخفية. كما يساعد في مقارنة دلالة الأداة في سياقات متعددة، ورصد التغير الدلالي المحتمل، مع توظيف الشواهد القرآنية والنحوية والبلاغية.

خامسًا: الدراسات السابقة:

1. الوظيفة التداولية للأدوات النحوية في القرآن الكريم، أ.م.د. محمد حمزة الشويلي، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، العدد 111، 2022م.

2. التحليل التداولي لحروف المعاني في النص القرآني، أ.د. خليل إبراهيم السامرائي، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية، العدد 38، 2020م.
3. الدلالة النحوية بين السياق والتركيب في القرآن الكريم، أ.د. بشير حسين الكبيسي، مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد، العدد 27، 2021م.
4. الأدوات النحوية في ضوء علم المعاني: دراسة بلاغية تحليلية، د. سحر عبد الرزاق الجبوري، مجلة جامعة الموصل للآداب، العدد 41، 2022م.
5. فقه اللغة عند العرب: المفهوم والاتجاهات، أ.م.د. أحمد شوقي النعيمي، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، العدد 19، 2022م.

خطة البحث:

المبحث الأول: المفاهيم النظرية والمنهجية.

المطلب الأول: فقه اللغة: المفهوم والحدود.

المطلب الثاني: الأدوات النحوية: تعريفها وأنواعها.

المطلب الثالث: التداولية وعلاقتها بفقه اللغة.

المبحث الثاني: تحليل تداولي للأدوات النحوية في النص القرآني.

المطلب الأول: أداة العطف (الواو، الفاء، ثم...)

المطلب الثاني: أداة الاستدراك (لكن، بل، لا...)

المطلب الثالث: أدوات الغاية والنتيجة (حتى، كي، لام التعليل...)

المبحث الثالث: البُعد التفسيري واللساني للأداة في السياق القرآني: دراسة مقارنة بين التراث والتأويل المعاصر.

المطلب الأول: نظرة المفسرين المتقدمين إلى أدوات النحو ودورها في بيان المعنى.

المطلب الثاني: آليات التأويل اللساني المعاصر للأداة النحوية.

المطلب الثالث: دراسة تطبيقية مقارنة لثلاث أدوات قرآنية.

المبحث الأول: المفاهيم النظرية والمنهجية.

ومن هنا، يُخصّص هذا المبحث لعرض الإطار النظري والمنهجي للبحث، وذلك من خلال ثلاثة مطالب رئيسة: الأول يوضح مفهوم فقه اللغة وحدوده وتميزه عن اللسانيات، والثاني يعرض تعريف

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

الأداة النحوية وتصنيفاتها ودورها في بناء المعنى، أما الثالث فيتناول مفهوم التداولية وأهميتها في تحليل الخطاب العربي، مركزًا على علاقتها بفقه اللغة في ضوء التكامل المعرفي المعاصر

المطلب الأول: فقه اللغة – المفهوم والحدود.

أولًا: تعريف فقه اللغة:

فقه اللغة مصطلح تراثي يدل على عمق المعرفة باللغة من حيث أصولها، وتطور دلالاتها، وارتباطها بالسياق الثقافي والتاريخي. وقد عرّفه ابن جني بقوله: "إنّ فقه اللغة هو العلم بأسرار العربية من جهة تصريفها، وأصواتها، وألفاظها، ومعانيها، ومقاييسها" (ابن جني، 1952م، ص58). بينما يرى بعض المعاصرين أن فقه اللغة يتجاوز النحو إلى دراسة النص في ضوء علاقاته الثقافية والاجتماعية، مما يجعله مقاربًا للدراسات التداولية والوظيفية الحديثة.

ثانيًا: الفرق بين فقه اللغة واللسانيات.

اللسانيات: علم حديث يقوم على الأسس الوضعية والتحليل البنيوي للغة، بينما فقه اللغة يجمع بين الجوانب الوصفية والتأصيلية، ويأخذ في الحسبان تطور المعنى عبر الزمن وسياقاته الثقافية. وعليه، فإن فقه اللغة يعالج اللغة بوصفها كائنًا حيًّا يتحرك في الزمان والمكان، في حين أن اللسانيات تُركّز غالبًا على البنية المجردة والمعيارية. وقد فرّق رمضان عبد التواب بين المصطلحين بقوله: "اللسانيات تدرس اللغة كما هي، أما فقه اللغة فيدرسها كما كانت وكيف تطورت" (رمضان عبد التواب، 1994م، ص19).

ثالثًا: مجالات فقه اللغة وتطبيقاته المعاصرة: يشمل فقه اللغة عدة مجالات منها:

دراسة الدلالة وتطور الألفاظ. والربط بين الكلمة وسياقها الزمني والاجتماعي. وتحليل النصوص في ضوء الثقافة والمقاصد. وتتبع الألفاظ في سياقات القرآن والحديث والشعر. ويُعد فقه اللغة من الأدوات الرئيسة في تفسير النصوص الشرعية والتاريخية، لأنه يربط الكلمة بأصلها، ويُظهر مرونة اللغة في حمل المعاني المتعددة ضمن السياق الواحد.

المطلب الثاني: الأدوات النحوية – تعريفها وأنواعها.

تُعدّ الأدوات النحوية من أهم عناصر البناء اللغوي في اللغة العربية، إذ لا تكتمل الجملة ولا يتحقق المعنى المقصود دون وجودها. فهذه الأدوات ليست مجرد ألفاظ زائدة، بل هي وحدات لغوية تحمل دلالة ووظيفة، وتُسهم في تنظيم العلاقة بين مكوّنات الجملة من جهة، وفي توجيه المعنى نحو مقصد المتكلم من جهة أخرى. وقد عرّف النحويون الأداة بأنها: "ما يُفيد معنى في غيره ولا يستقل به"، أي أنها لا تدل

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

على معنى ذاتي كالأسماء أو الأفعال، بل تعمل على ربط أو تخصيص أو توكيد أو استدراك أو غير ذلك من الوظائف النحوية (عباس حسن، 1990، ج1، ص130).

أولًا: تعريف الأداة النحوية ووظيفتها البنيوية: الأداة النحوية هي لفظ لا يُستقلّ بالمعنى، بل وظيفته الربط أو التوجيه أو التخصيص داخل الجملة. وتُعرّف بأنها: "ألفاظ تؤدي وظائف معنوية وبنائية داخل التركيب، ولا تدل وحدها على معنى مستقل" (عباس حسن، 1990م، ص130)، فالأداة النحوية تُسهم في ضبط العلاقات بين عناصر الجملة، وتحديد العلاقات الزمنية، والشرطية، والاستدراكية، وغيرها.

ثانيًا: تصنيف الأدوات من حيث العمل والوظيفة: يمكن تصنيف الأدوات إلى مجموعات بحسب الوظيفة التي تؤديها:

- أدوات العطف: (الواو، الفاء، ثم، أو...)
- أدوات الاستدراك: (لكن، بل، لا...)
- أدوات النفي: (لا، لم، لن...)
- أدوات الغاية والنتيجة: (حتى، كي، لام التعليل...)
- أدوات التوكيد: (إنّ، قد، لام الابتداء...)

كل أداة من هذه الأدوات لها وظيفة نحوية من جهة، ودلالة سياقية تداولية من جهة أخرى، تُستنتج من موقعها في الجملة وارتباطها بالسياق.

ثالثًا: موقع الأدوات في بناء المعنى: لا تُفهم الأداة النحوية في معزل عن الجملة التي وردت فيها، بل إن معناها يتبدل ويتشكل بحسب المقام والسياق. فمثلًا:

- الواو قد تكون لمجرد الجمع، أو للمصاحبة، أو للاستئناف.
- الفاء قد تفيد الترتيب مع التعقيب، أو السببية، أو التفريع.
- ثم تفيد الترتيب مع التراخي الزمني أو المنطقي.

وهذا ما يظهر في اختلاف استعمالها في القرآن الكريم: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ (عبس: 21–22)، فهنا أداة ثم تُظهر التراخي الزمني المقصود في مراحل الخلق.

تعريف الأداة النحوية ووظيفتها البنيوية:

أولاً تُعرف الأداة النحوية: بأنها لفظ لا يدل على معنى مستقل بذاته، وإنما يؤدي وظيفة في ربط أجزاء الجملة، أو توجيه السياق، أو تخصيص المعنى، أو تأكيده. وقد عرّفها عباس حسن بقوله:

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

"الأدوات هي ألفاظ لا تستقل بالمعنى، وإنما تؤدي وظيفة نحوية في الجملة، كأن تربط بين الجملتين، أو تدل على علاقة معنوية بين المفردات"(عباس حسن، 1990، ج1، ص130). وهذه الأدوات، وإن كانت لا تعمل عمل الأفعال أو الأسماء في دلالتها، فإنها تضبط البناء النحوي وتتحكم في سير المعنى، ما يجعلها عنصراً أساسياً في التماسك النصي، وفي توجيه الخطاب نحو مقصد معين، خاصة في النصوص القرآنية ذات الطابع الإرشادي والتربوي والبياني.

ثانيًا: تصنيف الأدوات من حيث العمل والوظيفة: تتنوع الأدوات النحوية بحسب طبيعة عملها في الجملة ووظيفتها التداولية والدلالية. ويمكن تصنيفها على النحو الآتي:

1. أدوات العطف: مثل (الواو، الفاء، ثم، أو، أم...)، وهي تربط بين جملتين أو مفردتين، مع تفاوت في دلالات الزمن والترتيب والسببية.
2. أدوات الاستدراك: مثل (لكن، بل، لا...)، وتُستخدم لنقض المعنى أو تعديله أو تقويته، وهي أدوات ذات بعد بلاغي عميق.
3. أدوات الشرط: مثل (إن، إذا، لو...)، وتربط بين فعلين أحدهما سبب للآخر، وتُسهم في بناء المعنى الاحتمالي أو التعليقي.
4. أدوات النفي: مثل (لا، لم، لن، ما...)، تُستخدم لإنكار الفعل أو المعنى أو الحكم.
5. أدوات الغاية والنتيجة: مثل (حتى، كي، لام التعليل...)، وتربط الفعل بهدفه أو بنتيجته المتوقعة.
6. أدوات التوكيد: مثل (إن، قد، لام الابتداء، نون التوكيد...)، وتُستخدم لتعزيز المعنى وتقوية دلالته في ذهن المتلقي.

هذا التصنيف يُبرز تنوّع الأدوات في الوظيفة، ويُثبت أن فهم كل أداة لا يتم إلا بفهم السياق، وأن التمايز بينها دقيق يتجاوز المعاجم والقواعد، ويدخل في باب المقاصد والبلاغة.

ثالثًا: موقع الأدوات في بناء المعنى: تُسهم الأدوات النحوية في بناء المعنى بأكثر من طريقة:

- تُحدد العلاقة بين الجمل: كأن تربط بين سبب ونتيجة، أو بين أمرين متتابعين، أو متناقضين.
- تُوجه ذهن القارئ نحو غاية الخطاب، فتُحدث الأداة انتقالًا معنويًا أو بلاغيًا داخل النص.
- تُبرز التدرج أو التراخي أو التعقيب، كما في الفرق بين الواو والفاء وثم.

فمثلًا، في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً﴾(المؤمنون: 41)، جاءت "الفاء" لتفيد التعقيب السريع، وهو ما يعكس سرعة وقوع العقوبة. أما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾(الكهف: 89)،

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

فإن "ثم" أفادت التراخي الزمني أو المعنوي، للدلالة على أن الأمر وقع بتروٍ وتنظيم، لا بعجلة. وهذا يؤكد أن فهم الأداة لا يتم في معزل عن مقصد النص وسياقه، ما يجعلها أداة تداولية تؤدي دورًا بلاغيًا حيويًا.

المطلب الثالث: التداولية وعلاقتها بفقه اللغة.

تُعدُّ التداولية من أبرز فروع اللسانيات الحديثة التي ظهرت في النصف الثاني من القرن العشرين، واهتمت بدراسة اللغة في استعمالها الواقعي، لا في بنيتها المجردة. فهي تبحث في المعنى الذي يُقصده المتكلم، وفي كيفية تأثير السياق والمقام والمخاطب على فهم الكلام. وبذلك تكون التداولية قد نقلت التحليل اللغوي من مستوى التركيب والدلالة الثابتة، إلى مستوى الاستخدام والتأثير والوظيفة.

وقد عرّف التداولية بأنها: "دراسة العلاقة بين اللغة ومستخدميها"، أي أنها تهتم بكيفية استعمال اللغة في سياق معين، لتحقيق مقصد معين، عند متكلم معين(رمضان عبد التواب، 1994م، ص19).

.

أما فقه اللغة: وهو علم تراثي، فقد اهتم منذ نشأته بالمعنى، وتطور الألفاظ، واستعمال الكلمة في بيئات مختلفة، وهو بهذا يلتقي مع التداولية في تركيزه على السياق والمعنى والاستعمال، وإن كان بلغةٍ ومصطلحاتٍ مغايرة. ولهذا فإن العلاقة بين فقه اللغة والتداولية تُعد علاقة تكاملية، حيث يُمكن للباحث المعاصر أن يستفيد من رؤية فقهاء اللغة في تحليل المعنى القرآني، مع توظيف أدوات التداوليين في فهم مقصد النص وتوجيهاته الدقيقة.

ومن هنا تأتي أهمية هذا المطلب، إذ يُمهّد للربط بين الأصل التراثي والمقاربة الحديثة، لتوظيف الأداة النحوية في ضوء السياق والمقصد، وهو ما يمثل مدخلًا لفهم وظيفتها التداولية في القرآن الكريم.

أولًا: مفهوم التداولية: التداولية علم يدرس اللغة في ضوء السياق الذي تُستعمل فيه، ويهتم بكيفية تأثير العوامل الاجتماعية والثقافية والمقصدية في المعنى. يعرّف ستيفن ليفنسون التداولية بأنها: "دراسة العلاقات بين اللغة ومستخدميها في السياق"(عباس حسن، 1990م، ص130).

ثانيًا: أوجه التلاقي بين التداولية وفقه اللغة.

- كلاهما يهتمان بالسياق لا بالبنية وحدها.
- كلاهما ينظر إلى المعنى بوصفه وظيفة لا مجرد دلالة معجمية.
- التداولية معاصرة، وفقه اللغة تراثي، لكن يجمع بينهما المنهج الوظيفي.

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

ثالثًا: الوظيفة التداولية للأدوات في الخطاب العربي. تكمن وظيفة الأداة التداولية في توجيه المتلقي، وإحداث الأثر، وتحديد مسار الفهم؛ وهذا يتجلى مثلًا في الفرق بين قول الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾ (الرعد: 16)، هنا جاءت الواو للربط التقريري لا لمجرد الجمع. وفي قوله: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ (الروم: 17)، استخدام الفاء يربط نتيجة السياق السابق بما بعدها في مقام التعقيب(ابن جني، 1952م، ص58).

المبحث الثاني: تحليل تداولي للأدوات النحوية في النص القرآني.

وقد بيّن "التداولية تتعامل مع ما هو غير مُصرّح به صراحة، وتستخرج المعنى من وراء اللغة، بناءً على القرائن والسياق". وهذا ما يجعل التحليل التداولي مناسبًا جدًا للنص القرآني الذي يجمع بين التوجيه والإيحاء والبيان. ومن هنا جاء هذا المبحث ليُسلّط الضوء على عدد من الأدوات النحوية المختارة في النص القرآني، محللًا دلالاتها في ضوء علم التداول وفقه اللغة، مع بيان أثرها في نقل المعنى، وتوجيه الخطاب، وخدمة المقصد الشرعي والبلاغي. وسيتناول المبحث تحليلًا تطبيقيًا لأدوات العطف، وأدوات الاستدراك، وأدوات الغاية والنتيجة، باعتبارها أكثر الأدوات دورانًا وتأثيرًا في النصوص القرآنية.

المطلب الأول: أدوات العطف (الواو، الفاء، ثم).

أولًا: الترتيب الزمني والمعنوي بين الأدوات: العطف في اللغة العربية ليس مجرد ربطٍ بين شيئين، بل هو انتقال دلالي يُحدث أثرًا في تسلسل المعاني أو في تحديد علاقة السبب بالمسبب أو التراخي بالزمن أو المعنى. وتُظهر أدوات العطف الثلاث التالية: (الواو، الفاء، ثم) تفاوتًا دقيقًا في الترتيب والتعقيب الزمني والمنطقي.

- الواو: تفيد مطلق الجمع، دون دلالة على ترتيب أو تعقيب زمني.
- الفاء: تفيد التعقيب والسرعة، وقد تدل على السببية.
- ثم: تفيد الترتيب مع التراخي الزمني أو المعنوي.

ثانيًا: تحليل الفرق بين (الواو، الفاء، ثم) في السياقات القرآنية.

1. **أداة العطف "الواو"**: قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ (الشعراء: 80–81)، استخدمت الواو هنا للعطف دون ترتيب زمني واضح، فالمرض قد يسبق أو يتزامن مع الشفاء. ومثال آخر: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ (الفجر: 22)، الواو هنا تُفيد الجمع بين مجيء الرب والملائكة، دون دلالة على أن أحدهما يتقدم الآخر زمنيًا.

مَجلّةُ تَسنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

2. **أداة العطف "الفاء"**: قال تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً﴾ (المؤمنون: 41)، الفاء في الآيتين تفيد التعقيب السريع والتسلسل الحدثي، حيث جاءت العقوبة مباشرة بعد التكذيب. ومثال آخر: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (الشمس: 8). تفيد الفاء هنا السببية والعاقبة، كأن الإلهام كان نتيجة مباشرة لخلق النفس.
3. **أداة العطف "ثم"**: قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ * ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ (عبس: 21–22)، (ثم) تدل على الترتيب الزمني مع التراخي: فالموت، ثم الإقبار، ثم البعث في زمن لاحق ومجهول.

ثالثًا: الأثر البلاغي والتداولي لكل أداة: إن استخدام الواو أو الفاء أو ثم في القرآن لم يكن عشوائيًا، بل مرتبطًا بمقصد السياق، فحين يكون الغرض الجمع فقط دون ترتيب، جاءت الواو، وحين يكون التتابع السريع مطلوبًا جاءت الفاء، أما إذا كان الزمن أو التدرج في الوقوع مرادًا فاستُخدمت ثم. وهذه الفروق الدقيقة تمثل وظيفة تداولية عالية التأثير، يتحدد بها فهم القارئ لمسار الخطاب الإلهي ومقاصده. وقد أشار الزمخشري إلى هذا بقوله: "الواو لا توجب الترتيب، وإنما العبرة بالمعنى، أما الفاء وثم ففيهما دلالة على التوالي، إما مع التعقيب أو التراخي" (الزمخشري، ص85).

المطلب الثاني: أدوات الاستدراك (لكن، بل، لا).

تُعد أدوات الاستدراك من أكثر الأدوات النحوية دقة في استعمالها، لما تحمله من وظيفة تداولية تقوم على تعديل المسار المعنوي للخطاب، أو رفع توهّم خاطئ قد ينشأ لدى المتلقي. وتكمن أهميتها في النص القرآني في كونها تُمكّن من تصحيح المفاهيم، وإبراز الحقائق، والتدرج في الحجة، وهي من أبرز وسائل الربط البلاغي الذي يجمع بين الفكرة ونقيضها أو بديلها. ومن أشهر هذه الأدوات في السياق القرآني: لكن، بل، لا، ولكلٍّ منها دلالة خاصة ومقام تداولي يميزها عن الأخرى:

أولًا: أداة " لكن" تُستعمل " لكن " للاستدراك بعد نفي: وتكون لنقض ما قبلها جزئيًا مع إثبات خلافه، وغالبًا ما تُفيد التحوّل من معنى مرفوض إلى معنى مُثبت أو مستثنى. وتدخل على الجمل الاسمية، وقد تأتي مخففة أو مشددة.

مثال قرآني: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ (النساء: 162)، في هذه الآية جاءت "لكن" لاستدراك ما سبق من ذمّ أهل الكتاب، لتُثبت أن منهم من هو راسخ في العلم، وتُعيد التوازن للخطاب. وقد نصّ ابن هشام على أن " لكن" تفيد رفع توهّم يظنه السامع بعد النفي، مع إثبات المقابل (ابن هشام، 1995، ص154).

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

ثانيًا: أداة "بل" تفيد "بل" الإضراب: تُستخدم لنقل الذهن من معنى إلى معنى آخر، وقد يكون إضرابًا:

إبطاليًا: أي لنقض ما قبله، كما في قوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهُ ۖ بَلْ هُم مِّنْهُ عَمُونَ﴾ (فصلت: 45)، حيث تُفيد "بل" الأولى نفي كونهم على يقين، والثانية تصعيدًا في الإنكار إلى درجة العمى عن الحق.

انتقاليًا: أي يُنتقل فيه من معنى إلى آخر دون نفي الأول، بل للتدرج أو التوسعة أو الإضافة. وقد بيّن الرضي الأستراباذي أن "بل" تُستعمل في معنيين: الإضراب الإبطالي، وهو الأصل، والإضراب الانتقالي، بحسب السياق (الأستراباذي الرضي، 2001، ج2، ص297).

ثالثًا: أداة "لا" (في سياق الاستدراك): رغم أن "لا" هي أداة نفي في أصلها، فإنها تُستخدم في كثير من المواضع لإفادة الاستدراك عبر نفي ما قد يُتوهم من سياق سابق، وتُهيّئ ذهن المتلقي لتصحيح أو إعادة توجيه المعنى(الأنصاري ابن هشام 1995م، ص154). قال تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى * وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ (القيامة: 31–32)، "لا"، هنا تنفي الظاهر المتوقع (التصديق والصلاة)، وتُستدرك المعادلة بـ"لكن" التي تكشف حقيقة الموقف. ويذكر السيوطي أن " لا" في بعض السياقات القرآنية تؤدي وظيفة "الرفض المعنوي" لفكرة سابقة، مما يجعلها تحمل بُعدًا تداوليًا يتجاوز النفي الصرف (السيوطي، 2004، ج2، ص85).

التمييز بين الأدوات في ضوء السياق: الأداة دلالتها الأساسية وظيفتها التداولية السياق المناسب لكن استدراك بعد نفي نقض جزئي لما سبق مع إثبات مخالف بيان استثناء أو تصحيح فهم بل إضراب (إبطالي/انتقالي) نفي أو تصعيد أو توسيع المعنى بيان خطأ أو نقلة في الحجة لا نفي رفض ضمني أو تصحيح ضمني إزالة توهّم أو إنكار ظاهر.

الخلاصة: الفرق بين هذه الأدوات الثلاثة لا يُفهم من مجرد المعجم، بل من السياق الذي وردت فيه، والغرض البلاغي الذي تخدمه. فكل أداة تُستعمل لهدف دقيق، يُسهم في بناء الخطاب وتوجيه فهم المتلقي، مما يجعل دراستها من داخل المنظومة التداولية مفتاحًا لفهم المقاصد القرآنية الدقيقة.

أولًا: الفروق الدقيقة بين أدوات الاستدراك.

تُعد أدوات الاستدراك من أقوى الأدوات النحوية في العربية، لما تحدثه من تحوّل في مسار المعنى، إذ تُستعمل لرفع توهّم أو نفي معنى سابق، أو لتصحيح تصور أو بيان تباين في الدلالة، وتُستخدم غالبًا بعد نفي أو تعارض محتمل. ومن أشهرها:

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

- لكن: تفيد الاستدراك بمعنى "غير أن"، وتُستخدم لنقض ما قبلها جزئيًا أو كليًا.
- بل: تفيد الإضراب، إما إضرابًا إبطاليًا (لنقض السابق) أو انتقالًا إلى معنى أرقى.
- لا: قد تكون أداة نفي، لكنها تُستخدم أحيانًا في سياق الاستدراك لتأكيد التضاد بين المعنيين.
- وقد نصّ ابن هشام الأنصاري على أنّ هذه الأدوات "تنتقل بالذهن من معنى إلى آخر أعلى أو مخالف، وفقًا لمقصود المتكلم ومراد الخطاب"(الأنصاري ابن هشام، 1995م، ص146).

ثانيًا: توجيه الأداة بحسب السياق والمقصد.

1. لكن (لٰكِنّ): قال تعالى: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ * لٰكِن مَن يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ (ق: 38-39)، أداة (لكن) هنا تُزيل توهّمًا متعلقًا بضعف القدرة الإلهية بعد الخلق، وتستدرك توجيه الخطاب نحو الذين يفسدون، لتأكيد أن الخلق لم يكن عجزًا. وقال تعالى: ﴿لَّٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ...﴾(النساء: 162)، جاءت (لكن) هنا استدراكًا على ما سبق من ذم أهل الكتاب، فتُبرز أن الفئة الراسخة استثناء منهم، وتُعيد التوازن في الخطاب.
2. بل: قال تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهُۖ بَلْ هُم مِّنْهُ عَمُونَ﴾ (فصلت: 45)، (بل) الأولى تنقض ما قبلها، وتبيّن أنهم ليسوا في يقين، بل في شك. والثانية تؤكد أنهم في غفلة أشد – مما يعكس تصاعدًا في الإنكار والضلالة. وقال تعالى: ﴿قَالُواْ مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَفْتِنُونَ﴾ (المؤمنون: 24)، (بل) هنا لإبطال توهم اعتراضهم، ولإثبات حقيقة أنهم هم المفتنون، لا النبي.
3. لا (في سياق الاستدراك): قال تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى * وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ (القيامة:31،32)، (لا) هنا ليست مجرد نفي، بل تؤسس لمعنى استدراكي؛ فهي تُبيّن أن التوقع كان الإيمان والصلاة، لكن حصل خلافه. وقال تعالى: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ (الحشر: 14)،(لا) تنقض وهم الشجاعة، وتبيّن الجبن الكامن، فهي نفي مضمّن استدراكًا.

ثالثًا: توظيفها في خطاب التنوع القرآني:

أدوات الاستدراك القرآنية ليست محايدة دلاليًا، بل تعمل على إعادة توجيه المعنى نحو المقصد الأعلى، سواء بالنفي أو الإضراب أو التصعيد. ويُستفاد منها في:

- تدرج المعنى البلاغي (من الأدنى إلى الأعلى).
- بيان المقاصد الخفية في الرد على شبهات المشركين وأهل الكتاب.
- خلق توازن في الخطاب بين الذم والمدح، أو بين النفي والإثبات.

وقد أشار السيوطي إلى هذا المعنى في قوله: "الاستدراك في القرآن يكون لتحسين السياق أو لدفع توهّمٍ فاسدٍ، وهو من دقائق البلاغة" (السيوطي، 2004م، ص79).

المطلب الثالث: أدوات الغاية والنتيجة (حتى، كي، لام التعليل).

أولًا: التعريف العام بالأدوات: تُعد أدوات الغاية والنتيجة من الأدوات المركزية في الخطاب القرآني، إذ إنها لا تُستخدم فقط للربط بين الجمل أو الأفعال، بل لتحديد العلاقة بين الفعل والهدف، أو بين السبب والمسبب. وتُفيد هذه الأدوات أغراضًا دلالية وتداولية مهمّة، مثل التعليل، والغاية، والتدرج، والنتيجة، مما يجعلها من الأدوات القوية في توجيه فهم المتلقي لمقصد الخطاب.

وتشمل هذه المجموعة من الأدوات:

- حتى: وتفيد انتهاء الغاية أو التدرج نحوها، وقد تكون للغاية الزمنية أو الحدثية أو المجازية.
- كي: وتفيد التعليل، وغالبًا ما تُستخدم لبيان السبب أو الهدف من الفعل.
- لام التعليل (لام كي): وهي لام تدخل على الفعل المضارع لتدل على المقصد من الفعل السابق.

وقد ميّز النحاة والبلاغيون بين هذه الأدوات بحسب طبيعة المعنى الناتج عنها، فـ"حتى" تدل على الغاية مع احتمال المجاز، أما "كي" و"لام التعليل" فتدلان على علّة الفعل أو نتيجته (ابن هشام، 1995م، ص161؛ الزركشي، 1994، ص204).

ثانيًا: التحليل التداولي للأدوات في السياق القرآني.

1. أداة (حتى) تُستخدم "حتى" لتحقيق الغاية من الفعل أو التدرج نحوه، وقد تُفيد غايةً زمنية أو غايةً في المعنى. وتُعد "حتى" من أكثر الأدوات مرونةً دلالية، إذ تتغير وظيفتها بحسب السياق. قال تعالى ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (آل عمران: 92). تُفيد "حتى" هنا الغاية التكليفية، أي أن الوصول إلى درجة البر مشروط بالإنفاق مما يُحب، وهذا توجيه مقصدي عميق يُظهر أن البر لا يُنال بالشعارات بل بالتضحية. قال تعالى: ﴿حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ (الأعراف: 40)، "حتى" هنا غاية مستحيلة، أي أن دخول الكافرين الجنة كدخول الجمل في ثقب الإبرة، وهو تعبير تداولي يفيد الاستحالة لا الغاية الواقعية.
2. وهذا يُبرز أن "حتى" تُستعمل تداوليًا للدلالة على الامتناع، أو المشروطية، أو الغرض، بحسب السياق.

3. أداة (كي) تُستخدم "كي" للتعليل، وغالبًا ما تكون واضحة في وظيفتها؛ إذ تُخبر عن السبب المباشر للفعل السابق. قال تعالى: ﴿كَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ (الحديد: 23)، تبين "كي" هنا الغرض التربوي من تقلبات الدنيا، وهو تهذيب النفس وضبطها، أي أن الله عز وجل يبيّن أن الابتلاء ليس عبثًا، بل له غاية تربوية. قال تعالى: ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ (الحج: 5)، تدل "كي" هنا على التعليل القدَري؛ أي أن الله يُرجع الإنسان إلى حالة الضعف ليُدرك حدود قدرته. تداوليًا، تُستخدم "كي" لبيان العلّة الداخلية أو النفسية، وقد تُوحي بالمقصد التربوي أو الأخلاقي الذي يُراد من الحدث.

4. لام التعليل (لام كي) تدخل "لام التعليل" على الفعل المضارع، وتدل على الغاية المقصودة أو النتيجة المتوقعة. قال تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾(الطلاق: 7)، تشير اللام إلى الغاية الشرعية من التكليف: وهو أن يُنفَق على المرأة بحسب السعة المالية، أي أن النفقة هنا ليست اختيارية بل مقصودة بتكليف شرعي. قال تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾(آل عمران: 153)، هذه لام تعليل مركبة مع "كي"، تفيد أن ما وقع من البلاء والنتائج في غزوة أُحد له غاية سلوكية تربوية: ضبط النفس، والتوازن بين الحزن والفرح.

ثالثًا: مقارنة وظيفية بين الأدوات.

الأداة وظيفتها النحوية دلالتها التداولية نوع الغاية حتى غاية أو انتهاء تُفيد التدرج أو الاستحالة أو الامتناع غاية واقعية أو مجازية كي تعليل مباشر تُفيد الغرض التربوي أو النفسي أو الشرعي غاية داخلية لام التعليل تعليل مقصدي تُفيد النتيجة المرجوة أو الحكم التكليفي غاية مقصودة صريحة

الخلاصة: أدوات الغاية والنتيجة في القرآن الكريم ليست مجرد روابط نحوية، بل هي أدوات تداولية مقاصدية. تُستخدم لتوجيه المعنى نحو مقصده الأعلى. وتُظهر هذه الأدوات قدرة اللغة القرآنية على حمل المعنى الخفي والمركّب، من خلال اختيار دقيق للأداة بما يتناسب مع السياق، ونفسية المتلقي، ومقام الخطاب.

أولًا: الفرق بين الأدوات من حيث الدلالة: تتفق أدوات الغاية والنتيجة في كونها أدوات ربط دلالي تشير إلى علّة أو غرض أو نتيجة، لكنها تختلف في درجة السببية، وزاوية الربط بين الجمل، ومن هذه الأدوات:

- حتى: تفيد الغاية، وقد تكون للغاية الزمانية أو المعنوية أو الحدوثية.
- كي: تفيد التعليل، وهي أكثر مباشرة في ربط العلة بالمعلول.

- لام التعليل (لام كي): تفيد الغرض أو النتيجة المقصودة للفعل.

وقد أشار ابن هشام إلى أن "حتى للغاية والانتهاء، وكي ولام التعليل تتعلقان بالسببية والغرض"، لكن تختلفان في قوة الرابط.

ثانيًا: علاقتها بالسياق التداولي. في السياق التداولي، لا تقتصر هذه الأدوات على الربط النحوي أو التركيبي، بل تقوم بتوجيه المعنى نحو قصد المتكلم، وتوضيح الغرض من الفعل أو نهايته، فهي أدوات استراتيجية في تحقيق المقاصد الخطابية والبلاغية.

- أداة "حتى" تُستخدم كثيرًا في نهاية الأحداث لتشير إلى غاية، قد تكون مادية أو معنوية.
- "كي" تُستخدم لتوضيح سبب وقوع الفعل السابق، وغالبًا ما تكون دلالتها عقلانية أو شرعية.
- لام التعليل غالبًا ما تربط بين أمرين أحدهما وسيلة والآخر غاية مقصودة، وتُستعمل في الأوامر والنواهي والخطاب الإرشادي.

ثالثًا: أمثلة قرآنية دالة وتحليلها.

1. "حتى": قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ... ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (آل عمران: 14–15)، هنا (حتى) تربط بين المقطع الأول الدنيوي والثاني الأخروي، لبيان غاية المقارنة، مما يُبرز المفارقة التداولية. وقال تعالى: ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى أَشَدِّ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾(الحج: 5)،(كي) هنا تفيد العاقبة المقصودة بخلق الإنسان على مراحل، أي أن الهدف في نظام الخلق هو العودة إلى الضعف، في دورة قدرية حكيمة.
2. "كي": قال تعالى: ﴿كَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ (الحديد: 23)،أداة (كي) هنا تُظهر مقصود الله تعالى من الابتلاءات: ضبط التوازن النفسي بين الحزن والفرح، وهو مقصد تربوي سلوكي. وقال تعالى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾(الحشر: 7)، تفيد كي هنا غاية توزيع الغنائم، أي تحقيق العدالة الاجتماعية، وهو مقصد شرعي مباشر.
3. لام التعليل: قال تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾ (الطلاق: 7) (اللام) هنا تعليلية، أي أن الغرض من التوسعة في المال هو الإنفاق الشرعي، وهو توجيه اقتصادي اجتماعي. وقال تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾(آل عمران: 153)، لام كي هنا تعليلية مركبة مع (كي)، تفيد الغرض التربوي من أحداث الغزوة، بما يعكس البعد التربوي في النصر والهزيمة.

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

التحليل التداولي والبلاغي للأدوات: يتبين من خلال هذه الأمثلة أن أدوات الغاية والنتيجة لا تُستعمل عبثًا، بل تؤدي وظيفة مقاصدية تداولية، تنقل القارئ من الفعل إلى هدفه، ومن الواقع إلى الحكمة، فتكشف عن المقاصد الإلهية من وراء الأوامر، والتشريعات، والابتلاءات. وقد علّق الرضي الأستراباذي بقوله: "هذه الأدوات ليست حرفًا جامدًا، بل روح المعنى، بها يُكشف مراد المتكلم لا ظاهر كلامه فحسب"(الرضي الأستراباذي ، 2001م، ص289).

المبحث الثالث: البُعد التفسيري واللساني للأداة في السياق القرآني: دراسة مقارنة بين التراث والتأويل المعاصر.

المطلب الأول: نظرة المفسرين المتقدمين إلى أدوات النحو ودورها في بيان المعنى.

يقول الزمخشري في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ (الكهف: 89)، "ثم للترتيب مع التراخي، فكان فعله الثاني واقعًا بعد الأول بمدة تُفيد التروّي والتخطيط، لا مجرد التتابع"(الزمخشري، 2009، ج2، ص363)، وهذا يدل على أن الأداة "ثم" تُسهم في بيان التدرج الزمني والمقصد البلاغي في السورة.

أما ابن عاشور فيقول عن أداة (بل): "بل تفيد الإضراب الإبطالي، أي الانتقال من معنى باطل إلى آخر حق، وهي أداة جدلية حجاجية في القرآن"(ابن عاشور، 2000م، ص117). قال تعالى ﴿بَلْ قَالُواْ مِثْلُ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾(المؤمنون:81)، يفسرها المفسرون بأن "بل" هنا تفيد الإضراب الإبطالي عن الكلام السابق، وتُدخل المتلقي في سياق الاتهام المستمر للمكذّبين.

المطلب الثاني: آليات التأويل اللساني المعاصر للأداة النحوية.

يرى نصر أبو زيد أن: "الأداة النحوية عنصر تواصلي لا نحوي فقط، فهي تُسهم في تشكيل المعنى المقصود من خلال موقعها داخل البنية الخطابية"(أبو زيد، 1990، ص88). بينما يعتقد أركون أن الأدوات تُوظف بوصفها "استراتيجيات خطابية" تهدف إلى التأثير والإقناع، لا مجرد أدوات تركيب.

مثال تطبيقي من التحليل المعاصر: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾(الحجر: 30)، يرى بعض المحللين المعاصرين أن "الفاء" هنا تفيد سرعة الامتثال، بما يخدم مقصد طاعة الأمر الإلهي فورًا، وأن موقع الأداة بعد الفعل يدل على انقياد جماعي حاسم.

المطلب الثالث: دراسة تطبيقية مقارنة لثلاث أدوات قرآنية.

1. أداة "ثم"(سورة الكهف: 89)، الزمخشري: التراخي الزمني. وأبو زيد: تُبرز التخطيط الاستراتيجي في رحلة ذي القرنين، وليست مجرد ترتيب زمني(ابن عاشور محمد الطاهر،2000م، ص117).
2. أداة "بل"(سورة فصلت: 45)، الرازي: إضراب لإثبات الشك. وأركون: تصعيد جدلي يوظف أداة بل لنقض التصور الاجتماعي السائد حول النبوة(أبو زيد، نصر حامد،1990م، ص88).
3. أداة "حتى"(سورة الأعراف: 40)، ابن عاشور: غاية مستحيلة. وتمام حسان: "حتى" تُستعمل هنا لتأثير نفسي بالغ في بيان انغلاق الأمل، وهو خطاب تأديبي تداولي.

نظرة المفسرين المتقدمين إلى أدوات النحو ودورها في بيان المعنى: مثل الزمخشري، الرازي، الطبري، وابن عاشور.(مثال: الفرق بين "ثم" و"الفاء" في تفسير الزمخشري والرازي في سورة الكهف).

آليات التأويل اللساني المعاصر للأداة النحوية: مثل اعتماد المدارس اللسانية التداولية، ومنهجية أركون وأبو زيد في تحليل البنية الخطابية للآيات.

دراسة تطبيقية مقارنة في آيات قرآنية مختارة: تحليل دلالة أداة نحوية واحدة في الآية، ومقارنة تفسيرها عند المفسرين التراثيين والمحدثين، لبيان التطور أو الثبات في الفهم التداولي. رؤية تأصيلية تحليلية: نحو بناء "منهج تداولي تفسيري" للأدوات النحوية في القرآن الكريم، في ضوء ما سبق من تحليل تقابلي بين الرؤى التفسيرية التراثية واللسانية المعاصرة للأداة النحوية، يمكن القول إن القرآن الكريم يفرض علينا منهجًا خاصًا في التعامل مع لغته، يقوم على احترام قدسيته من جهة، وفهم ديناميكيته وسياقه من جهة أخرى. لذا، فإن من أبرز الإضافات المنهجية التي يمكن اقتراحها في هذا المبحث هي بناء نموذج تحليلي قائم على منهج تداولي تفسيري متكامل، يجمع بين المقاربة السياقية، والمقاصد الشرعية، والأسلوب البياني.

المكونات الأساسية:

1. الركيزة الأولى – التفسير السياقي للأداة: أن يُدرس موقع الأداة ضمن البنية العامة للسورة، وما قبلها وما بعدها، وليس فقط داخل الآية. فالسياق العام كثيرًا ما يُغني في بيان المقصد.
2. الركيزة الثانية – المقصد التداولي للأداة: ألا تُفهم الأداة إلا بمراعاة غرض المتكلم (وهو الله تعالى) في مقام الخطاب. فـ"بل" مثلًا في سورة فصلت ليست مجرد أداة إضراب، بل هي أداة نقدية تُقوّض سردية المكذبين تدريجيًا.

3. الركيزة الثالثة – الربط مع مقاصد الشريعة: دراسة كيف تسهم الأداة في بيان مقصد شرعي، كتحقيق التزكية، أو الإقناع، أو التقويم، كما في "كي لا تأسوا" و"حتى تنفقوا مما تحبون". وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا﴾ (يوسف: 96). فالأداة محل التحليل: "ف" العطفية ، التفسير التقليدي: تفيد التعقيب الزمني (الطبري، الرازي). والتفسير التداولي المقترح: "ف" تُفيد هنا الربط الإعجازي بين الفعل والنتيجة، بما يُحدث في نفس المتلقي أثرًا لحظيًّا قويًّا، وهو أن الاستجابة جاءت مباشرة بعد تحقق البشارة، لبيان عظمة الفعل الإلهي. فالنتيجة التفسيرية المقاصدية: توظيف الأداة هنا يُرسّخ في نفس القارئ معنى الرجاء عند انقطاع الأمل، أي أن استئناف البصيرة ممكن لحظة وصول البشارة، وهو مقصد قرآني يُربّي على اليقين والرجوع. وهذا المنهج التفسيري التداولي يمكن أن يُسهم في تعزيز فهم طلاب العلم لدور الأداة في بناء الرسالة القرآنية. وتدريب الباحث على تحليل النص من داخله، لا من خلال القواعد فقط. وتقديم مادة تعليمية متميزة في برامج علوم القرآن وعلوم اللغة.

النتائج:

1. الأدوات النحوية في القرآن ليست مجرد أدوات ربط تركيبية، بل تؤدي وظائف تداولية ودلالية مقصودة، توجه المعنى وتضبط الغرض البلاغي.
2. الفرق بين الأدوات (كالواو، الفاء، ثم، بل، لكن، حتى، كي...) ليس فرقًا شكليًا، بل وظيفيّ تداولي، يتغير بحسب السياق ومقصد الخطاب.
3. فقه اللغة يوفر أساسًا علميًا لفهم الأداة النحوية من حيث نشأتها ودلالاتها المتطورة، بينما التداولية تمنحها بعدًا سياقيًا حيًا مرتبطًا بواقع الخطاب.
4. المفسرون القدامى مارسوا تحليلًا تداوليًا وإن لم يستخدموا مصطلحاته، وظهر ذلك بوضوح في تفاسير الزمخشري، الرازي، الطبري، وابن عاشور.

التوصيات:

1. الاهتمام بتدريس أدوات النحو القرآني في ضوء الوظيفة التداولية، في أقسام اللغة العربية وعلوم القرآن، لتجاوز الجمود النحوي التقليدي.
2. دعوة الباحثين إلى إعداد دراسات متخصصة في أدوات معينة (مثل: ثم، بل، لا، قد) ضمن سور محددة، لدراسة آثارها السياقية والمقاصدية.

3. تشجيع المقارنة المنهجية بين تفاسير تراثية ومعاصرة في ضوء تحليل الأدوات، لتعزيز الوعي النقدي التأويلي.
4. إدماج تحليل الأداة في برامج التفسير الموضوعي والتفسير المقاصدي، بوصفها وسيلة بلاغية تداولية لا تقبل التجاوز.
5. اقتراح إنشاء معجم تداولي للأدوات النحوية القرآنية، يربط بين شكل الأداة، وسياقها، وغرضها البلاغي، وقراءتها المقاصدية.

الخاتمة:

الحمد لله الذي أنزل كتابه بلسانٍ عربي مبين، فكان إعجازه في بيانه، وبلاغته في نظمه، وهدايته في معناه ومقصده، والصلاة والسلام على من أوتي جوامع الكلم، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. لقد سعى هذا البحث إلى تسليط الضوء على وظيفة الأدوات النحوية في القرآن الكريم، لا من خلال منظور نحوي جامد فحسب، بل من خلال مدخل تداولي – فقهي لغوي يكشف عن المقاصد الدلالية والبلاغية التي تتحقق بالأداة ضمن السياق القرآني، الذي لا ينفصل عن واقع الخطاب ومخاطَبيه. وقد استقرأنا جملة من الأدوات النحوية المهمة (كالواو، الفاء، ثم، بل، لكن، حتى، كي، لام التعليل...)، وبَيّنّا كيف أن كل واحدة منها تؤدي دورًا حيويًا في بناء المعنى، وتوجيه المتلقي، وتحقيق مقاصد النص التشريعية والبيانية والتربوية. وقد أثبتت النتائج أن فقه اللغة، بما فيه من تأمل في تطور الدلالة، وعلم التداول، بما فيه من إدراك للسياق والمخاطبة، يُعدان معًا أداة تحليل فعالة لفهم النص القرآني على وجهٍ أعمق وأكثر شمولًا. كما كشف البحث أن المفسرين الأوائل قد مارسوا هذا المنهج وإن لم يصطلحوه، بينما جاءت القراءات المعاصرة لتُعيد صياغته بأدوات لسانية حديثة، مما أتاح لنا إجراء مقارنة علمية بين الرؤيتين، وتعزيز التكامل بين التراث والتجديد. وختامًا، فإن هذا البحث يُعدّ خطوة أولى في مشروعٍ أوسع يدعو إلى إعادة النظر في التحليل النحوي للقرآن الكريم من خلال عدسة تداولية مقاصدية، تُعيد إلى النص فاعليته، وإلى اللغة حيويتها، وإلى المتلقي مسؤوليته في الفهم والاستنباط، والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل.

المصادر

القرآن الكريم
[1] الاتقان في علوم القرآن، السيوطي، دار الفكر، ط1، بيروت، ج2، 2004م

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

[2] أصول الفقه الإسلامي، وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، 2001م.
[3] إعلام المواقعين عن رب العالمين، ابن القيم، دار الجيل، بيروت، 1996م.
[4] البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، ج 2، 1994م.
[5] البيان في روائع القرآن، تمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1994م.
[6] التحرير والتنوير، ابن عاشور محمد الطاهر، دار سحنون، ج11، تونس، 2000م.
[7] الخصاص، ابن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الهلال، ط1، القاهرة، 1952م،
[8] دراسة في علوم، أبو زيد نصر حامد، المركز الثقافي العربي، ببيروت،1990م.
[9] دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني، دار التراث، ط 1، جدة، 1993م.
[10] الرسالة، محمد الشافعي، تحقيق احمد محمد، دار التراث، ط 1، القاهرة، 1997م.
[11] شرح الكافية، الرضي الأستراباذي، دار الكتب العلمية، ط 1، ج2، ببيروت، 2001م.
[12] فقه اللغة في الدراسات الحديثة، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، ط 3،القاهرة، 1994م.
[13] قراءة علمية، أركان محمد، الفكر الإسلامي، دار الساقي، لندن، 2006م.
[14] الكشاف، الزمخشري جار الله، دار المعارف، ببيروت، ج 1، 2009م
[15] اللسانيات ومناهج تحليل الخطاب، يوسف احمد، مكتبة لبنان، ببيروت، 2009م.
[16] مغني اللبيب ،ابن هشام، دار الفكر، ط4، ببيروت، 1995م.
[17] مغني اللبيب، الأنصاري ابن هشام، دار الفكر، ط4، بيروت، 1995م.
[18] الموفقات في أصول الشريعة، إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق مشهور بن حسن، دار ابن عفان، الرياض،2005.
[19] النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، ط 5،ج 1، القاهرة، 1990م،